اللهجة العامية اللبنانية

بقلم مارون عبود

كنت ، وما زلت ، وسأظلّ ، عدواً لاثنين : الداعي إلى إحلال اللهجة العامية محل اللغة الفصحى ، والقائل بكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية . كلا الأخوين أضرّ من أخيه ... أيجهل هؤلاء الدعاة ان لكل جيل من الناس لغتين ، لغة يجري بها القلم وهي مادة الكتاب ، والكتاب سجلّ المدنية الخالد ، ولغة تدور على الألسنة وبها تتفاهم الأمة المختلفة الأقاليم . أذكر ولا أنسى ابداً ان واحداً من بني عمي تزوج اميركية وجاء بها الينا ، فحاول احد طلاب المدارس ان يحدثها باللسان الانكليزي فلم يفهم عنها ولا فهمت عنه ، إلا يس ، وأورّيت ، وغود مورننغ...

وزارني ، منذ اعوام، مراكشيان فما تفاهمنا إلا بالفصحى. واذكر مرة اخرى ان احد المهوّسين باللهجة العاميّة قرأ لي محاضرة كتبها بلهجتنا العامية ، متوقعاً مني ثناء طويلا عريضاً ، فقلت له هذه الكلمة : خطابك جميل ، إلا أنه يحتاج الى ترجمة . فاحمارّ وجهه ...

وبعد ، فقد تكون لهجة لبنان العامية أنقى اللهجات ، وأقربها إلى الفصحى لانكماش اللبنانيين وتقلصهم في جبالهم الوعرة ، غير المرغوب باستيطانها . هذا ما كان ، أما ما سيكون فمن يعلم ؟ ان سهولة المواصلات، ومطامع الشركات، والمهاجرة من وإلى ، قد تؤدي إلى إفساد لهجتنا ، والله أعلم ..

إذا سمعت لبنانياً يسمي الخادم خدمتشي ، فاحكم حالاً أنه غير جبلي . فعلى ألسنة اللبنانيين تدور تعابير قرشية النسب لا تحصى ، واليك بعض ما يحضرني منها : قطعنا له ثياباً . من كل فج عميق . أساور من ذهب. لولا كلمة سبقت . اسم الله عليه. لا تقع السماء على الأرض . ما هذا إلا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم . سبق عليه القول ، الى آخر ما في كتابي « صقر لبنان » .

ان هذه التعابير من كلامه تعالى ، ولساننا يجري بها حتى الساعة ، فاللبناني لا يعرف مضغ الكلام وقلما رأى في ضيعته الأعجام ، وان مرّ بها واحد فكمرّ السحاب . . . اجتمعت بحمد الأمير ، أمير بني ربيعة فقال لي : ان لهجة لبنانكم أقرب اللهجات الى لهجتنا ، واننا نفهم عنكم اكثر مما نفهم عن سواكم .

نعم ، ان ابتعاد اللبناني وانفراده حملاه على أخذ مسمياته من أفعالها ، فقال : فلاح ، وفاعل ، وأطلق على القيدّ الذي تشدّ به الحلقة الى النير اسم « الشرع » . تأمل ما أجمل وأدلّ هذا الاسم على ما يعدل به الفلاح بين ثوريه فلا يحمّل واحداً منهما فوق طاقته. وهو يسمي الأداة التي ينكز بها الفدّان «مسّاس» لأنه يمسّ بها مساً . ففي رأس المساس نصل كنصل الرمح ، والمسّاس رمح الفلاح ، وساحة طعانه عقاره. لم يدع قدماؤنا ، حتى المتأخرون منهم ، هذا النهج في مسمياتهم ، فقالوا : « ابو الركب » في حمّى الضنك ، اما اليوم فأخذ بعضنا يقول : جَورَبَ ، ومجورب ، من كلمة جريب ، أي مصاب بالرشح . كان القدماء اذا تعذرت عليهم التسمية لجأوا الى المجاز طابعين على غرار جدودهم فيسمون الشيء باسم جزء منه ، فقالوا : « لستيك » لنوع من الأحذية .

ومن هذا الطراز قولهم لمن رأوه في بحران وسهو : مسطول ، وقاعد مثل السطل لا يهشّ ولا ينش ، ويقولون للخفيف الرأس : مشتول . وعلى هذا الغرار قالوا للقصبتين المضمومتين « عنيّق » لأن عنقهم ينتفخ عند الغناء بهما . او يسمونها « قصب » باسم جنسها ، كما يقولون للمريض « ساخن » من السخونة . ومن تسميتهم الحسنة قولهم : كفٌ ورق ، للخمس طلاحي ويلفظونها طراحي . ويقولون « حصّ توم » وفي الحصّ ، لغوياً ، معنى الكثرة ، ويسمون احد اجزائه سن توم لما بينه وبين السن من تشابه .

ويعجبني منهم نهجهم في الاسماء والالقاب والكنى نهج العرب فلقبوا واحداً (الصبح) وهو اكمه ، وسموا آخر (العيوق) وهو يكاد يكون مسخاً . وكنوا رجلا اعشى (ابو ضو) كما قال العرب ابو بصير . وارى ايضا في تسمياتهم ذوقا مرهفا حين يسمون النونة والفحصة (غمّازة) ، وهي نقرة تبدو في الخدين عند الابتسام ، وكانها تغمز . ويعجبني اكثر من ذلك هربهم من الحروف الثقيلة كالذال مثلا ، فاما ان يلفظوها دالا ، او يحذفوها بالكلية ، فيقولون للماهر في مهنته (اصطا) بدلا من استاذ ،

وللساذج (سَادا) رادين هذين الحرفين الى اصلهما الفارسي .قال احد المتمشرقين : ان اهل لبنان يلفظون الذال دالا فصدق ، ولكنه مثّل على ذلك باذا، فضلّ كعادة زملائه ، فليس هناك لبناني يقول ادا .

ان العوامّ وخصوصاً اللبنانيين ، أعداء كل حرف ثقيل ، فأكثرهم يلفظ القاف همزة ، كقولهم : اسكت بأى ، وهم يحذفون الهمزة حذفاً كاد ان يكون إجمالياً فيقولون : جا ، وجابي ، وجينا. وإذا سمعت لبنانياً يعكس همزة جاء ويقول: إجا ، فاعلم انه ابن مدينة غير جبلي .

ومن خصائص اللهجة اللبنانية النحت والقلب والابدال ، ولنقل الاختزال واللزّ ان صح التعبير . فيقولون : أيوه ، في أي والله ، وإسّا ولسّا ، في الساعة وللساعة . وهلّق في هذا الوقت ، وبدّي ، بدلاً من بودّي . وأيشو ، في أي شيء هو . وفي الشوف يقولون : شو بدلا من أيش . أما من يقول شونو فمتحذلق. ان اللهجات في لبنان تختلف باختلاف المناطق اختلافاً جزئياً ، ومن اختلاف اللهجات نعرف السكان .

ومن اختزالهم قولهم : تعا تا نأكول، أي تعال حتى نأكل. و « هَوْ » بدلا من هؤلاء ، كقول الخادمة: بدي كنّس هَوْ. اي بودي أكنس هؤلاء . وكقولهم : أينو ؟ في اين هو . وهيك في هكذا ، وليك في اليك . ويلحقون بها الهاء فيقولون: ليكو اي اليكه ، وليكا اي اليكها ، وليْكُنْ اي اليكهم واليكهن . وعلى نسقها تجري « معليك » اي لا عليك .

اما الضم المشبع في عين المضارع وغيرها فمرده الى اللغة السريانية التي طلقوها الثلاث منذ قرنين او اقل ، وهذا الضم أشيع ما يكون في شمالي لبنان . وها نحن نصفي حساب السريانية دفعة واحدة . يقول لك اللبناني الشمالي ، وسيّان في ذلك المسلم الطرابلسي ، والمسيحي الأهدني : طرابلس ، صابون ، ويقول : نحنُا ، اي نحن . فكأنهم يردونها الى اصلها السرياني إحنُا ، مستبدلين النون بالهمزة عدوّتهم . وبعضهم يلفظها على حقها السرياني احنو . ويقولون : هيْدي ، اي هَذي هيَ ، فكأنها من هُودِي السريانية. وعندما يقولون هَيْدْ فهي ترخيم هُودِي السريانية . ويقولون : هَاي اي تلك، فكأنها هُي السريانية . ويناديك احدهم : هُو بدلا من هَا العربية فكأنه يردها الى هُو السريانية . وتحويل الدال ذالاً هو من نوع رد الألفاظ الى سريانيتها، فيقولون : حِدَا في حذاء، وحَدوة في حذوة . ويحولون ايضاً الضاد دالا فيقولون: ركد في ركض . واحياناً يلطّفون فيلفظون الصنّارة سنّارة ، وبعكس ذلك يقولون قصمة في قسمة. اما الابتداء بالسكون، في كسروان والشمال ، فأثر سرياني ، يقولون : حْديد ، حْليب ، سْليم . وقولهم إيدَين في يَدَين ، وإيد في يَد ، سرياني ايضاً . وكذلك قالوا أبّهاتنا في آبائنا ، وبسببها تندروا على الكهنة فسموهم ابْ هات ... وكذلك يلفظون الكرسي كورسي بالضم العنيف لأن سريانيتها كورسيو . وكثرة النون في اللهجة اللبنانية مصدرها سرياني فقالوا : هنّي بدلاً من هم ، ويقولون ضَربتُنْ قتلتُنْ ، وكيفُنْ اهل البيت بدلاً من كيف هم ، فميم الجمع العربي نون في السريانية .

اما وقد شبعنا من هؤلاء فلنعد الى الهمزة . ان عداوتها حملت اللبناني على استعمال الصيغة السريانية فقال: بلاع،وزراع، في إبلع وإزرع وهما سريانيتان . وقاسوا عليها الافعال العربية فقالوا : دفاع وقطاع، في إدفع وإقطع . ويقولون «منعطوف عليه »وهو مضارع سرياني بلفظه ومعناه . ومن نوع هذا الضم المشبع قولهم ضروب ، في إضرب ، وكذلك يلفظون ناطور بضم النون لان اصلها السرياني ناطور . وتقابل عداوتهم للهمزة صداقتهم للنون فيقولون مرين في مريم، وانتلا بدلا من امتلا . وعلى قاعدة العرب يلفظون النون ميماً اذا تقدمت الباء الساكنة فيقولون شو هو ذمبي ، اي ذنبي . واذا تحركت هذه النون لا تلفظ ميماً .

ان هدف العامة هو الخفة ، فألين الحروف احبها اليهم . وقد ادرك العرب ذلك فجعلوا النون الناعمة لجمع الجنس اللطيف، واما احتجاج سيداتنا وطلبهن عام اول ، ان نخاطبن بالميم ، ففي غير محله، فليدع الميم لاصحابها وحسبهن النون. والهاء عدوة العوام الثانية فيقولون عطيتو بدلا من اعطيتهُ ، وكذلك الميم في مواضع فيقولون انتو بدلا من انتم . وقد يقلبون الهمزة ياء ليخزوا عجرفتها وتصدرها الابجدية فيقولون نكاية بها : خد هادا يمّا هادا . ويقولون لمّن بتجي ، حبّاً بنونهم الموروثة . وحباً بالضم الموروث ايضاً يقولون هَون وهُونيك في هُنا وهناك . ويقولون : لهو فلان اي لهجة فلان . واظنهم اشتقوها من اللهاة هرباً من ضخامة الجيم . ولفظ الثاء تاء كثير عند عامتنا . يقول لك المعّاز: عندي تنّيه ، وتنْيان ، ويوم التنين، في ثنية وثنيان والاثنين . ويلفظون الظاء ضاد فيقولون ضلّ

عا رأيك، اي ظلّ على رأيك . ولكن هذا لا يطرد كما يطرد في الذال والثاء . ويفضلون مرق عـلى مرّ فيقولون مرق . والبعض يقولون : مهنتس بدلاً من مهندس . وهم يحذفون ما يستقلون فيقـولون زيرة بدلاً من جزيرة . وللخفة يلفظون التاء المربوطة الفاً فيقولون صورا ، وغندورا . واحياناً يثقلون فيقولون ماضام ومضاليه في مادام ومداليه . ويقلبون هذه التاء ياء فيقولون شوكي اي شوكة .

وهناك قلب آخر في مثل قولهم: جوز، ريلا، اجر، في زوج وليره ورجل . وقد يزيدون حرفاً للتكبير يقولون رجّال ، ويصغرون فيقولون : يا خيّي وياخيتي ، في يا أخيّ ويا أخيتي ، ومن تحريفهم قولهم : ضمّ او تم او ضل عندنا ، اي ابق. ومن اختزالهم للاستفهـام عن الثمن قولهم : بقديش ؟ اي بقد ، او بقدر أي شيء . ومثلها لاشْ وماش وبلاش ، اي ما شيء ولا شيء ، وبلا شيء. وقد جاءت في مقامات البديع ، كما رويت أيش عن ابن الخطاب .

واغرب ما سمعت هذا التحريف : سمس ، ظرص ، زوز ، اي شمس وجرس وزوج . كما يقولون يا ريتو غنى بدلاً من ياليته غنى . ويحرفون كلمة فم فتصير تم ويقولون : سد تمك او بوزك ، وبوز سريانية مستعربة . وكذلك يقولون : مهبول ومبهول وبهله . ومن تليينهم قولهم : بدّى يحكي اي بدأ يحكي. ومن ادغامهم ولزهم وصرهم ما يفعلونه بالاسم الموصول فيقولون: اللي ضرب ضرب ، ثم تصير أل فيقولون مين الضرب ، وهذه المين والمان سريانية . وهم يكتفون احياناً بالهاء فقط عن هـذا فيقولون: هلكتاب حلو . والباء التي يحلونها محل همزة المضارع قد تكون كلام الامر فيقولون : بتروح تقول لفلان يجي لعندي . واحياناً يتركون البـاء فتصبح الجملة دعائية كقولنا : الله يحفظك ، وتذكر الباء فتصير خبرية كقولنا : الله بيحفظك.

ويستعمل عوامنا كالعرب كلمات لا معنى لها فيقولون: كان بان ، او كان مان ، وخبز مبز ، كما قال العرب حسن بسن ، وحياك الله وبياك .

ومن شاء ان يتعرف جيداً الى اللهجة اللبنانية فليقرأ جرائد الزجل التي تكتب باللهجة اللبنانية الاصيلة ، وليصغ كل يوم الى ما يذاع من المحطات المختلفة .

والسلام على القارئين ، على اختلاف لهجاتهم .

مارون عبود



هي منكِ ما يَبْقَى معي
تَعْوِيذَةٌ . . في إصبعي
علقَتْ بصدري حين دَغْدَغَها
. . عنـاق الأذْرع
علقتْ به . . أتُرى تُريد
لكِ اختبـار الأضْلع !
ما بينهـا . . ما خفقتُهُ
بل خفقتُ فيضَ تولُّعي
مـاء الهوى يَغلي بهـا
فلْتحترسْ . . إنْ تَسْمعِ . .

* *

يا شعرة قد كان مَصْرعها
بساعـةِ مصرعي . .
تَنْساب مِنْ تاج الجمـال
عـلى جبينٍ أرْفَـعِ
اين النسـيم يراود
الشعراتِ إنْ تتجمَّعِ
أين العيون تفيـض
بالأءابِ . . إنْ تتطلَّعِ
اين الوسادة . . هل تُرَى
افتَقَدَتْكِ إنْ لمْ ترْجعي
والمشْط . . إنّ المشط
منكِ عيونُهُ لمْ تشْبعِ
والعطر إنْ يَذْكُرْكِ
جادتْ عَيْنُهُ بالأدْمعِ . .

* *

يا من أضعْـتِ شَعْرَةً
لضياعهـا . . لا تجْزعي
إني أضعْتُ لديك شيئـاً
كان يَسْكن أضْلعي . . .

القاهرة — **محمد محمود عماد**